

اسم المادة: أعمالنا

من سلسلة: وقفات تربوية مع السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: أعمالنا
من سلسلة: وقفات تربوية مع السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبدُه ورسولُه وأما بعد، حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفُضليات ولقاء جديد مع وقفاتِنا التربوية والمنهجية مع سُنة حبيبنا المصطفى –صلى الله عليه وسلم–.

نبدأ بذكر هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"[1]

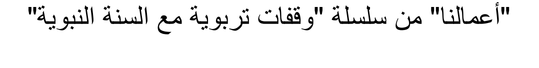
طبعًا قضية العمل الصالح من القضايا المِحورية في الخطاب الشرعي وهي من القضايا التي لا تغيب أبدًا عن ذهن أي إنسان بيتعامل مع الشريعة ويفهم جيدًا أهمية العمل الصالح وازاي إن احنا نكتر من العمل الصالح؟ وازاي إن احنا نهتم بالعمل الصالح؟

لكن وقفتنا المنهجية النهاردة والتربوية مع ملمح احنا بننساه عندما نتعامل مع قضية العمل الصالح. العمل الصالح في الغالب عندنا محصور في دايرة واحدة ألا وهي دايرة الثواب اللي بناخده عند عمل هذا العمل الصالح. الذهن بيتوقف عند التقاط هذا المشهد؛ أنا لو عملت كذا هاخد قد إيه من الحسنات؟ ولو عملت كذا هاخد قد إيه من الأجر؟

غالب الخِطاب الشرعي وطبعًا هو الخِطاب الشرعي فيه الكثير من النصوص اللي بتنُص على أن من فعل كذا فلهُ كذا، من فعل كذا فلهُ كذا حسنة، فاحنا تلقائيًا الذهن عندنا متبرمج لفهم هذا المستوى من الخِطاب، اعمل كذا تاخد كذا.

وطبعًا هو قضية الثواب على العمل الصالح قضية مهمة لكن هل يا ترى علاقتي أنا بالعمل الصالح مُتوقفة عند هذا الحد فقط؟ علاقتي أنا كعبد مؤمن لله –سبحانه وتعالى– مُتوقفة على إن أنا هعمل كذا عشان آخد كذا؟ وده اللي كان بيتفرع عليه أصلًا سؤال من الأسئلة اللي بتكتر في البحث الفقهي وغيره؛ هو لو أنا معرفش أصلًا الثواب، أنا معرفش أصلًا إن العمل ده عليه الثواب الفلاني وأنا بعمل العمل ده كده وخلاص هاخد الثواب؟ يعني أنا معرفش إن الذكر ده بيجيب القدر ده من الأجر، لو أنا بقى قُلت الذكر ده وأنا مش مُستحضر إن أنا هاخد الأجر ده يا ترى هاخد الأجر؟ لو معرفتش إن أنا لو قُلت: "سبحان الله وبحمده" مائة مرة هاخد كذا من الأجر، لو ما عرفتش إن كذا قولته كذا مرة هاخد كذا من الأجر، أنا بقول الذِكر ومش مُستحضر إن أنا هاخد الأجر هاخد الأجر ولا مش هاخدُه؟

[1] صحيح الترمذي




هي زي ماقولتلك قضية ربط العمل بالثواب هي مش معنى كده إن العمل محصور في الثواب؛ احنا عندنا دايرة أوسع في دائرة تعامُل العبد المؤمن مع العمل الصالح.

أول دوائر الالتقاء مع العمل الصالح إن عقيدتنا احنا كأهل السُنة والجماعة إن الإيمان قوْل وعمل؛ يعني العمل الصالح من الإيمان، والإيمان عندنا يزيد وينقُص ومن معايير زيادة ونقص الإيمان العمل؛ فالعمل عندنا مربوط بقضية أكبر ألا وهي قضية الإيمان بالله –سبحانه وتعالى–. عملك هو مدلول ومفهوم إيمانك، وعملك هو من إيمانك نفسه، فالقضية مش مُجرد أنك بتعمل العمل لمُجرد تحصيل الثواب؛ ده أنت العمل ده مربوط عندك بإيمانك وعندك نصوص واضحة جدًا وصريحة بيكون فيها ربط ما بين الإيمان والعمل الصالح.

ده أنت الخِطاب القرآني مشحون بقول الله –سبحانه وتعالى–: "الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ" فتحس إن كلمة "آمَنُوْا" أنت تلقائيًا حتى لما بتيجي تقرأها في القرآن تلاقي ذهنك بينطق بالكلمة "وَعَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ" طب ده مش بيُشير عندك لشيء؟

طيب لما تيجي تقرأ بعض هذه الأحاديث مثل قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ"[٢]

شوف العمل مربوط إيه؟ مربوط بالإيمان، أنت مؤمن يبقى هتعمل كذا، أنت مؤمن يبقى هتسوي كذا

حتى الكلمة "مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ" اتربطت الكلمة بإيمانك؛ فالكلمة اللي هتخرج من هذا الفم إذا كان الإنسان فعلًا مؤمن هيخرج من فمه الخير، وإن لم يكن في نيته قول الخير المُفترض إن من مُنطلق إيمانه يسكت وما يقولش الشر. شوف سبحان الله العظيم.

كذلك في دايرة النهي عن المُحرمات قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ، فلا يَلبَسْ حَريرًا ولا ذَهبًا"[٣]

ومش بس كمان فعل مُحرمات؛ لأ ده أنت حتى متبقاش قريب من المُحرمات "مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلا يَجْلِسْ على مائدةٍ يُدارُ عليها بالخَمرِ"[٤]

فإذًا ده أفق المفترض الإنسان ده يكون بداية المُنطلق بتاعه، يعني أنت المسألة عندك ما تبدأهاش من الخطوة رقم تسعة وعشرة أبدأ من الخطوة رقم واحد من الأصل، الأصل إن إنت بتتعامل مع منظور العمل الصالح في منهجيتك بالربط أوليًا بقضية إيمانك، فلما تبدأ من هنا هتلاقي إن منظورك للعمل الصالح أصلًا هيختلف. أنت العمل الصالح عندك مش مُجرد وظيفة أنت بتعملها، مش خانة أنت بتسدها، مش مجرد بس حسابات برمجية (أ) زائد (ب) يديني مش عارف إيه، لا، هو فيه قضية أعمق، –ده جانب– فيه جانب تاني اللي احنا كنا لسه باديين بيه بقى قضية الإيمان والعِصمة من الفتن ومن الزلل؛ قضية العمل الصالح والعِصمة من الذزَلل والخَلل، قضية العمل الصالح هو سور سياج بيحمي هذا الإيمان؛ سور منيع بيَحول بينك وبين المعصية حتى الشرع نص عليه نصًا، النبي–صلى الله عليه وسلم– قال: "اجْعَلوا بينَكم وبين الحرام سِترًا من الحلال"[٥]

سامع الكلمة؟ "اجْعَلوا بينَكم وبين الحرام سِترًا من الحلال" كل ما كان عندك هذه المسافة اللي أنت بتبعد بينك وبين الحرام أنت كل ما مليت هذه المسافة بالحلال هتبتعد أكثر وأكثر عن الحرام. كلما كان لديك رصيد من العمل الصالح بيَحُول بينك وبين آفاق المعصية، كلما كان عندك رصيد من العمل الصالح بيَحُول بينك وبين أُفق البُعد عن الله –سبحانه وتعالى–، بيكون فيه هناك مراتع عظيمة من هذا الأُفق الأخضر

[٢] صحيح البخاري

[٣] أخرجه أحمد والحارث والطبراني

[٤] رواه الترمذي وحسنه

[٥] الجامع الصغير



من العمل الصالح بعيد هناك عن آفاق الجفاء والجفاف والمعصية لله –سبحانه وتعالى–، أنت محظوط في حِصن بيحوط إيمانك بهذا السياج المانع من العمل الصالح.

الإنسان عليه إن هو ينظر إلى هذا المنظور الحامي، هذا العمل الصالح يحميك، وهذا ما نطق به أيضًا لسان الشرع شوف –النبي صلى الله عليه وسلم– قال: "بادروا بالأعمالِ ستًّا طلوعَ الشَّمسِ من مغربِها والدُّخانَ ودابَّةَ الأرضِ والدَّجَّالَ وخويصَّةَ أحدِكم وأمرَ العامَّة"[٦]

هذا الحديث بيتحدث عن ماذا؟ عن الفِتن ومنها فِتن عظيمة جدًا هتحدُث في آخر الزمان؛ الدجال، خروج الشمس من مغربها، آية الدُخان، وخروج الدابة، يعني اللي هي الأحداث اللي بتكون في أشراط الساعة الكُبرى، فالنبي–صلى الله عليه وسلم–يقول لك: بادر العمل الصالح قبل أن تأتيك الفِتن، هتأتي على الناس زمان فِتن عظيمة، في هذه الفِتن العظيمة الإنسان هينشَغل عن العمل الصالح، فِتن كبيرة جدًا –أسأل الله أن يعصمنا وإياكم– فهذه الفِتن العظيمة أكيد بتلهي الإنسان وتشغله.

طيب إيه الخِطاب التكليفي لي؟ الخطاب التكليفي لي بيقول: يا عبد الله بادِر في الوقت الذي أنت فيه بعيد عن الفِتن قبل أن تلهمك الفِتن، بادر بالاستعداد الإيماني والاستعداد بالعمل الصالح قبل أن تشغلك الفِتن، وإذا كان هناك فِتن عامة زي اللي احنا ذكرناها ففي هُناك فِتن خاصة، وخويصَّةَ أحدِكم تصغير خاصة يعني الأمر الخاص اللي بيخُصك قيل يعني يُراد به الموت، وقيل وده يمكن الأقرب للمعنى اللي احنا عايزين نتكلم عليه؛ الأمور اللي بتشغلك أنت في خاصة نفسك.

أنت الحمد لله دلوقتي الله –سبحانه وتعالى– مديك من العُمر، مديك من الصحة، مديك من الوقت أنك تستطيع أنك تعمل قد تُشغل قد يأتيك ما يشغلك أنت وهذا الذي يشغلك سيبتعد بك عما كنت تعمله أو يبتعد بك حتى عما كنت تريد عمله، فإذا أعطاك الله من الوقت والجُهد والصحة أن تعمل بادر –شوف– بادروا بالأعمالِ، أنت الآن مثلًا تلاقي احنا في مراحل عُمرنا أنت بتعدي في أطوار في مرحلة كده في حياتك أنت فيها مانتاش مشغول بشيء يعني مرحلة مثلًا في الدراسة ما قبل التخرج وما قبل الانشغال بالعمل وما قبل الانشغال بالزواج وتكاليفه، كان فيه وقت أنت فعلًا ليس لديك هم كبير في الحياة مفيش عندك مشاغل، تخيل لو هذا الخطاب موجود في ذِهن كل شاب مننا وهو لسه في مُقتبل حياتُه بادر بالأعمال قبل خُويصِة نفسِك، بادر بالأعمال قبل أن تنشغل وأن تدخل في هذه الطاحونة؛ طاحونة الحياة التي لا ترحم، يا ترى لو فعلًا كل شاب استطاع إن هو يدرك هذا الخطاب وقدر إن هو يُعمّر وقته بالطاعة قبل أن يُدرك خُويصِة نفسه يا ترى أحوالنا هتبقى عاملة ازاي؟

فهذا المنظور التعبُدي بالمُبادرة بالعمل الصالح مش مُجرد بس الاهتمام بالعمل الصالح ده أنت تفرَغ إليه، الحق نفسك قبل ماتنشغل عن قضية العمل وسوف تنشغل، وما منا أحد إلا ووُضِع في هذا المَوضِع، لابد أن يكون لديك ما يشغلك، يا ترى فيه كام واحد فينا قدر إن هو يُلقُط هذا الملمح؟ كام واحد فينا توقف مع قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ: شبابَك قبل هَرَمِك، وصِحَّتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شُغلِك، وحياتَك قبل موتِك"[٧].

اغتنم؛ الحق، لاحظت هذا الخِطاب؟ شبابَك قبل هَرَمِك يعني هو فيه أصلًا خِطاب عام حياتك قبل موتك تمام؟ لماذا خُصت فترة الشباب؟ عشان الملمح اللي بكلمك عليه، فترة الشباب هي فترة القوة والإقبال، الفترة اللي أنت فيها فعلًا فيها حالة تستطيع معها أنك تستزيد من العمل، وكذلك تستطيع فيها إن بتكون في مرحلة انشغالاتك أقل، طب أعمل إيه؟ أعمل إيه دي هو السؤال اللي موجود فعلًا دايمًا على ألسنة الشباب. أنا مش عارف أعمل إيه؟ أنا حاسس بكذا، أنا حاسس بفراغ.

---

[٦] صحيح ابن ماجه

[٧] صحيح الترغيب



ازاي يا مؤمن تستشعر الفراغ وتستشعر الضياع؟! تستشعر إن أنت مش عارف تعمل إيه!

يعني إيه مش عارف تعمل إيه؟!

أنت قبل ما تسأل السؤال دة تعالى نرجع بقى، ارجع كده خطوتين لورا أنت إيه مفهومك للحياة أصلًا؟ أنت جاي تعمل إيه في الحياة؟ أنت لماذا خُلقت؟ أنت بتعمل إيه ده سؤال أكبر بكتير جدًا من تمضية وقتك في اليوم.

أنت فين بقى في الحياة؟

الذي تربى وعقِل أنه عبدٌ لله وأنه أتى أساسًا هذه الحياة لتعمير حياته وتعمير الأرض بعبادة الله– سبحانه وتعالى– مش هيكون عنده هذه الأسئلة اللي بتنُم على الضياع اللي بتنُم على التوهان!!

ده أنت البوصلة عندك اتلخبطت، لكن لو أنت متربي على هذا المنهج هتعرف كويس يعني إيه إن يكون هناك المُبادرة بالعمل الصالح، فترة الشباب تحديدًا فترة خطيرة لو الإنسان اغتنمها واستطاع إن هو يخرج منها بهذا المفهوم سيستطيع أن يكون له بعد ذلك منهجية عامة في حياته يُعمر بها وقته فعشان كده جاء التنبيه على فترة الشباب وأهميتها. فترة الصحة؛ فترة القوة اللي أنت فيها أن يكون لديك هذه المُقومات العظيمة لكي يكون لك طاقة تُخرجها في عبادة الله –سبحانه وتعالى–، لأجل هذا حضنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على اغتنام هذه النعم وألا نُفرط فيها ولا نُضيعها.

قال –صلى الله عليه وسلم–: "والصِحةُ لِمن اتّقى خيرٌ مِن الغِنى"[٨]، الصحة دي أمر عظيم جدًا، ورغم ذلك تلاقي واحد اجتمعت له الصحة واجتمع له الوقت اجتمعت له عدم الحاجة مثلًا ماهواش محتاج يعني مكفول بأسرته، عنده مال وأيما كان ورغم ذلك يُضيع هذا الوقت الثمين فيما لا ينفع بل وفيما يضر.

النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ"[٩].

"مَغْبُونٌ" الإنسان المغبون ده اللي هو مثلًا أما ييجي في البيع فيبيع البضاعة يقوم يبيعها بسعر أقل من تمنها بكتير، يقولك مغبون؛ زي ما بتقول كدا في الدارج اضّحك عليه، هذا مغبون أضاع عمره وأضاع أثمن أوقات حياته؛ أضاعها فيما لا ينفع، فسبحان الله العظيم هذا غَبن عظيم، خسارة رهيبة جدًا، أنت في أوقاتك اللي بتكون فيها امتلكت صحتك وامتلكت وقتك، الغِنى قبل أن يضيع عنك هذا المال اللي بيُغنيك.

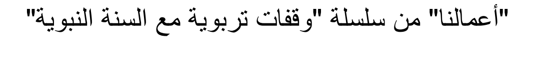
كل هذه الأشياء عندما تغتنمها، أنت في المنظومة العامة لحياتك أنت تسير فعلًا على ما يُراد لك؛ أن تكون عبدًا لله، فعندما يكون لديك أسباب القوة، واستفرغت أسباب قوتك في طاعة الله أنت هنا استكملت صورة الحياة الإيمانية اللي احنا بنتكلم عليها.

فاجزء بس اللي عايز فعلًا أقف عنده بقوة لابد أن تُحرر قضية العمل الصالح من أَسْر هذه الدائرة الضيقة اللي احنا حاصرنا بيها، العمل الصالح مش مُجرد سد خانة، مش مُجرد وظيفة، مش مُجرد تحصيل أجر هو أكبر بكثير.

ومن القضايا أيضًا الخطيرة يعني حوالين قضية العمل الصالح فيه برضه ملمح بيغيب عنا جميعًا عند تناول قضية العمل الصالح، نقف كده قليلًا مع هذا الحديث: عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أنه قال لَمَّا نَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: "يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النبيِّ" [الحجرات: ٢] إلى آخِرِ الآيَةِ، جَلَسَ ثابِتُ بنُ قَيْسٍ –رضي الله عنه– في بَيْتِهِ، وقالَ: أنا مِن أهْلِ النَّارِ، واحْتَبَسَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَسَأَلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ سَعْدَ بنَ مُعاذٍ، فقالَ: يا أبا عَمْرٍو، ما شَأْنُ ثابِتٍ؟ أشْتَكَى؟ قالَ سَعْدٌ: إنَّه لَجارِي،

[٨] صححه الألباني

[٩] صحيح البخاري





وما عَلِمْتُ له بشَكْوَى، قالَ: فأتاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ له قَوْلَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ ثابِتٌ: أُنْزِلَتْ هذِه الآيَةُ، ولقَدْ عَلِمْتُمْ أنِّي مِن أرْفَعِكُمْ صَوْتًا علَى رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأنا مِن أهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذلكَ سَعْدٌ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: بَلْ هو مِن أهْلِ الجَنَّةِ"[10] هذا الحديث هو أيضًا لقطة رائعة في حياة النبي– صلى الله عليه وسلم– وفي حياة الصحابة، شوف هذا الموقف نزلت الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ" الحجرات:٢، فهُنا هذا الصحابي "قيس بن ثابت" كان صوته عاليًا يعني صوته جَهوري، ولو بيتكلم في الطبيعي صوته عالي، فكان صوته عاليًا يعني طبقة صوته عالية، فكان لما بيخاطب النبي صوته عالي هو اعتبر إن الآية "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ" اعتبر أن هذا هو داخل في هذه الآية وأنه كان من الذين يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي فهو قد حبط عمله. عشان كدا هذا الحديث بَوَّبَ عليه "الإمام البخاري" بقوله: (باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر)، وبَوَّبَ عليه "الإمام النووي" في شرحه لصحيح مُسلم: (باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله).

هنا بقى السؤال، والقصة طبعًا معروفة يعني أنا اللي يهمني منها هذا الملمح، نسأل بقى السؤال: هو احنا ليه مابنخافش على أعمالنا؟ احنا قضية العمل الصالح عندنا زي ما قُلنا فيه منظور جزئي ليها اللي هو قضية توظيفية العمل الصالح؛ إن العمل الصالح مُوظف عندي عشان أجيب حسنات، علاقتي أنا بقى بالعمل الصالح؛ غالبًا علاقتنا بالعمل الصالح بتتوقف عند نهاية العمل الصالح، خلاص أنا عملت العمل الفُلاني والسلام عليكم وانتهت القصة خلاص، صليت خلاص انتهت القصة، صمت خلاص انتهت القصة، حاجة كانت موجودة وخلصت.

فقضية للعمل الصالح عندنا مُتوقفة فقط عند دايرة إن أنا قُمت بالعمل وخلصت العمل، لكن هل ده فعلًا المُفترض يبقى منظور المؤمن لعمله الصالح؟ لأ؛ الإنسان المؤمن يعلم خطورة العمل الصالح في حياته وفي مآله، يعلم أنه سيكون مصيره في النهاية على حسب عمله الصالح، وبناءً عليه هو في تعامله مع العمل الصالح هو عارف إن هو بيتعامل مع قضية مِحورية مصيرية وبالتالي هو لما بيقوم بالعمل الصالح هو مُنشغل بالعمل الصالح على كل الدرجات: الاستعداد قبل العمل الصالح، بداية العمل الصالح، أداء العمل الصالح، نهاية العمل الصالح، ثم ما بعد الأداء، لماذا هذا الاطمئنان العظيم الذي نحن فيه على أعمالنا؟ هو احنا سألنا أصلًا السؤال المِحوري احنا أدينا العمل دا ازاي؟ طب العمل دا قُبِل؟ يعني أنا أديته صح؟ طب بعد ما أديته صح هو قُبل أصلًا؟ أسئلة المُفترض إن هي تبقى بديهيات، أوليات في التعامل، ورغم ذلك هي آفاق منسية

أنا عايزك تسمع الحديث دا كويس، عن عمار بن ياسر –رضي الله عنه وعن آله– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: إنَّ الرَّجلَ لينصرِفُ وما كُتِبَ لَهُ إلَّا عُشرُ صلاتِهِ تُسعُها ثُمُنُها سُبعُها سُدسُها خُمسُها رُبعُها ثُلثُها نِصفُها"[11] فهُنا لاحِظ؛ إنسان دخل في الصلاة ولم يُكتب له أجر الصلاة! واحد اتكتب له نص الأجر، واحد اتكتب له ربعه، ثلثه، ممكن عُشره! بل واسمع للأخطر؛ قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: "رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامِهِ إلا الجوعُ، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامِهِ إلا السَّهرُ"[12] لاحظ هنا في واحد أدَّى العبادة فعلًا عملها بس عملها فين؟ عملها في الظاهر بس، صلى قُدامنا صلى، قدام نفسه صلى، صام أه صام هو شايف إن هو صام، قُدامنا صام، طب هناك في الصحيفة بتاعته ماذا كُتب له؟ لا شيء، قيامه كله لا شيء، مفيش أجر! صيامه كله مفيش ورا منه أجر، أنت مُتخيل يا مؤمن! أنت مُتخيل إن أنت تيجي في يوم من الأيام وتفتح الصحيفة تلاقي إن أنت صُمت خمسين سنة وتبُص عليهم صفر! أنت عارف لما واحد عمال

[10] صحيح مسلم
[11] الجامع الصغير
[12] صحيح الترغيب



يحوش في حصالة يحوش يحوش أو يحوش في رصيد في البنك وفي يوم من الأيام كدا حب يروح يطمن على رصيده يروح يسأل في البنك فيقولوله حضرتك رصيدك مفيش هنا ولا مليم! إيه وقع الكلمة دي عليه؟ ده ممكن يروح فيها، شقى عُمري راح فين؟ فلوسي راحت فين؟ عمري ده كله، شغلي ده كله، فلوسي دي كلها راحت فين! ده هنا في الدنيا اللي هو يعني أيًا كان هي خسارة في الدنيا، يعني هتنقضي مع انقضاء الدنيا، طب رصيدك بقى اللي أنت هتعيش عليه إلى الأبد في الآخرة أخباره إيه؟ ولا أي حاجة، مفيش أي شيء، في قمة الاطمئنان! يعني معندناش الحد الأدنى من القلق على هذا الذي قُمنا به، دا ده بعد ما خلصنا العمل.

طب لو واحد بقى عمل العمل وخد ثواب هو ممكن يَحبط عمله؟ الأعمال اللي هو عملها دي ممكن تَحبط وتروح؟ ليه مبنسألش الأسئلة دي؟ ليه أصلًا هذا الاطمئنان على رصيدنا؟ كأن الواحد منا اطَّلع على رصيده وقعد مطمن، وزي ما بيقولوا كده في بطنه بطيخة صيفي، من أين ورِثنا هذا الاطمئنان؟ جاتلنا منين؟ جاتلنا من زيادة درجة إحسان الظن بالنفس، وزيادة أو الإغراق الشديد في فكرة سعة رحمة الله وأحاديث الرجاء العظيمة ونحو هذا.

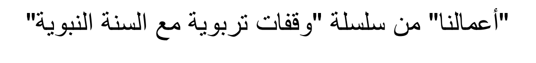
المؤمن الصالح الفَطِن يعلم أنه يسير إلى ربه على ميزان دقيق، يسير على منهجية تُوازن ما بين الرجاء والخوف؛ نحن نرجو رحمة اللَّه، ونعلم سعة رحمة اللَّه، ونرجو أن نكون من المرحومين عند اللَّه، لكن في نفس الوقت لابد أن يكون هناك هذا القدر من الخوف، نخاف على أعمالنا ألا تُقبل، نخاف إذا قُبلت أن تضيع، نخاف على ثواب هذا العمل أن ينقُص، نخاف أن تكون أعمارنا هدرت سُدى، إذا انضبطت هذه البوصلة سيكون الإنسان مُتزنًا في حياته لا يميل ناحية اليمين كثيرًا ولا ناحية اليسار كثيرًا، هذا هو أصلًا القضية التي عاش عليها سلفنا الصالح؛ فكرة إحسان العمل، فكرة إن هو لما يؤدي العمل يستطيع إن هو يعيش معه ويعيش على الهم الذي يكون مع هذا العمل الصالح، هكذا كان حال السلف.

عن علي–رضي الله عنه–كان يقول: "كونوا لقَبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل؛ ألم تسمعوا قول الحق –سبحانه وتعالى–: "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" المائدة:٢٧، وهذا أيضًا هو محور السؤال اللي سألته أُمنَّا عائشة لما قالت: سألتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ عن هذهِ الآيةِ "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" قالت عائشةُ: أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ؟" يعني هي فهمت من الآية "وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" المؤمنون:٦٠، أنهم خائفين من ماذا؟ خائفين من سوء عملهم "قالَ لها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ وَهُم يخافونَ أن لا تُقبَلَ منهُم "أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ""[١٣]، هكذا كان حال سلف الأمة، كما قيل عنهم أنهم كانوا يجتهدون في العمل الصالح فإذا فعلوه وقع عليهم الهم ألا يُقبل منهم.

الذي أريد أن أُركز عليه جيدًا أن هُناك منهجية تحتاج إلى تغيير في تعاملنا مع العمل الصالح، في قضية أصلًا فَهمِنا للعمل الصالح، مكانة العمل الصالح، وبعد ذلك كيف نؤدي العمل الصالح؟ ثم بعد ذلك كيف ننشغل بعملنا الصالح؟ ثروتنا وقيمتنا الحقيقية، مآلنا ومصيرنا في الآخرة سيكون بالإيمان وبالعمل الصالح، فلا يُعقل أبدًا أن يكون هُناك إنسان يجمع ثروات ولا يكون لها حافظًا، لا يُعقل أبدًا أن يكون الإنسان بعد عمر طويل من العمل ويأتي وهو صفر اليدين، يعني الإنسان الذي لم يعمل مفهوم أن يأتي إلى ربه وهو صفر اليدين؛ ما هو معملش حاجة، لكن أن يتعب الإنسان وأن يبذُل وأن يؤدي العمل ثم بعد ذلك لا ينال الأجر هذه خسارة مضاعفة، والخسارة الأكثر والأكثر أن يفعل ما يَحبط به عمله، نعوذ بالله من الخُذلان.

---

[١٣] صحيح الترمذي





المهم نحن نريد إعادة ترتيب المنهجية في قضايا مِحورية؛ قضية العمل الصالح قضية منهجية مِحورية تحتاج إلى إعادة ضبط، أعتقد أننا إذا انضبطت لدينا منهجية التعامل مع قضية العمل الصالح ستختفي الكثير من مشاكلنا في الحياة، في أمور حياتنا الدُنيوية، وأمور سعينا الأُخروي، فكل هذا في قضية كبيرة اسمها قضية الإيمان، قضية العمر، قضية العبودية، عندما يكون لدينا هذا الضبط العلمي وهذا الضبط العملي هتنضبط حياة كل إنسان منا على وِفق مُراد اللَّه، ستكون في النهاية عبدًا لله كما أراد الله منك، نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يُعلمنا ما ينفعُنا، وأن ينفعنا بما علمنا، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.